

# هل يجوز للروائي التصرف في الأحداث؟



## مفارقة الحقيقة والأكاذيب في الرواية التاريخية

توليفة بصرية لدراسات نقدية حول حرية  
الروائي، التاريخ، والحقيقة الإنسانية.



UNIVERSITÉ  
DE TLEMCEN

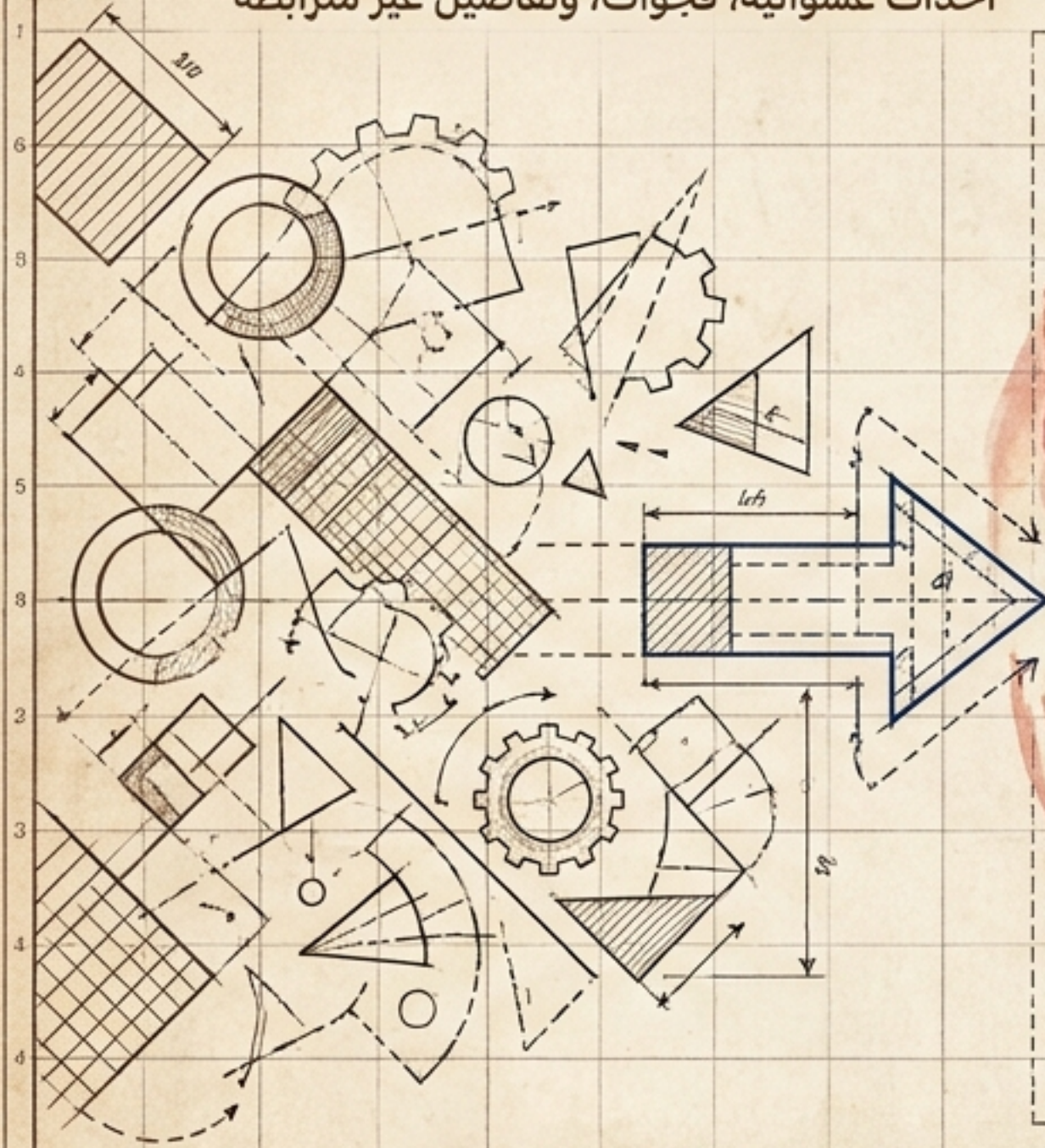


# الواقع التاريخي الخام

أحداث عشوائية، فجوات، وتفاصيل غير مترابطة

# الواقعية الروائية

سرد متماسك، دراما مقنعة، وحقيقة إنسانية



اختيار، انتقاء، وتصرف

الرواية ليست تسجيلاً حرفياً للواقع، بل هي (إعادة بناء) له.



# المؤرخ

يقدم للأحداث "هيكلًا عظميًا"  
من الأرقام والوثائق والتواريخ.



# الروائي

يكسو هذا الهيكل لحماً ودماً،  
ويمنحه شكلاً وروحاً، تفصح عما  
عجز الرخام الصامت عن قوله.

سطوة الروائي لا تنبع من الوثيقة، بل من قدرته على تحويل التاريخ إلى "حكاية" نابضة بالحياة.



## الحرية الفنية

ملء "الفجوات" التي تركها التاريخ. المؤرخ يهتم بما حدث، والروائي بما "يمكن أن يكون قد حدث".

## خلق المنطق الروائي

بناء مبرر درامي لكل حدث. "الصدق الفني" أهم من "الصدق التاريخي الأصم".

## الضرورة الدرامية

تغيير الترتيب الزمني أو دمج الشخصيات لتركيز الصراع، بشرط ألا يشوه الحقائق الحقائق الكبرى.

## المنظور السوسيولوجي

إسقاط رؤية الكاتب وفلسفته تجاه المجتمع والإنسان عبر مسارات الأحداث.





## أرسطو

مهمة الشاعر ليست  
رواية ما وقع، بل  
ما يمكن أن يقع..



## بلزاك

المجتمع هو المؤرخ،  
وما عليّ إلا أن أكون  
السكرتير..



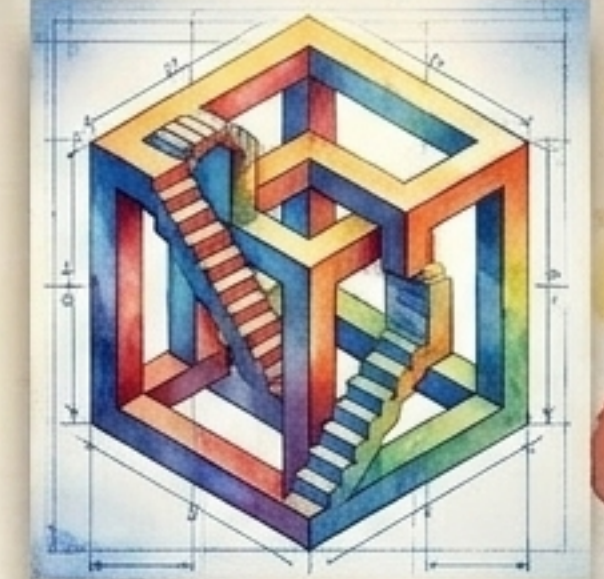
## جورج لوكاش

التاريخ كخلفية لكشف  
القوى الاجتماعية التي  
شكلت الإنسان.



## ميخائيل باختين

الشخصية لها "صوت"  
ومنطق داخلي يتجاوز  
إرادة المؤلف نفسه.



## يوسا

"حقيقة الأكاذيب" -  
الروائي يكذب لكي  
يعوضنا عن الحياة  
الحياة الحقيقية.



# تهافت الحدود: التاريخ كـ "خطاب"

تاريخ المؤرخ ليس محايداً  
بالضرورة.

المؤرخ يستخدم أدوات الروائي  
(الحبكة، الاستعارة، التبئير)  
ليمنح الأحداث المبعثرة معنى.

التاريخ يُكتب عبر "قوالب سردية".  
المؤرخ هو في النهاية "روائي مقيد  
بالوثيقة".

|                                          |                                               |      |
|------------------------------------------|-----------------------------------------------|------|
| spla s2lofor fE: 3 Merc laalzamal mapANE |                                               |      |
| presened by<br>Ragxike                   | Asneryckef FMD-T concept<br>Svp fenter n-dane | 16:9 |
| slide                                    |                                               |      |



# التاريخ الرسمي

تاريخ المنتصر

السلطة المهيمنة

الوثيقة الرسمية

إعادة الاعتبار

صوت المهمشين

تاريخ بديل

## الرواية التاريخية

الرواية لا "تزيف" التاريخ، بل "تستنطقه" لتبحث عن الحقيقة المخبأة خلف وثيقة المنتصر.



# الشبّح التاعويق

## التخييل الجمالي

- تعميق الفهم للنفس البشرية
- طرح الأسئلة
- تمرين على الحرية

النتيجة: إبداع وتعددية سردية

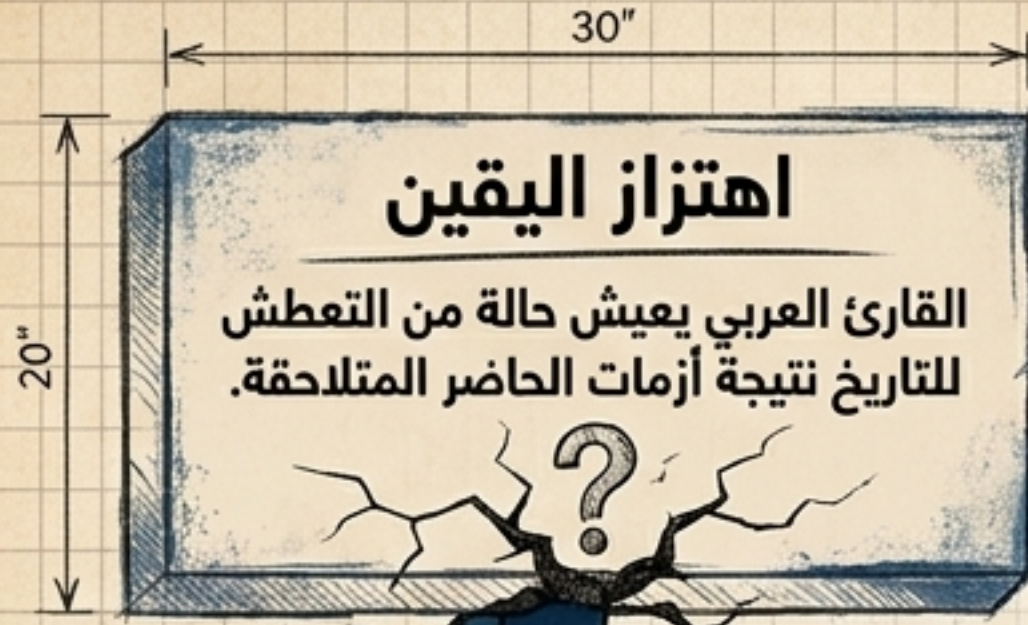
## التزييف الناعم

- خدمة هيمنة سياسية أو ثقافية
- بروباغندا مغلفة بالفن
- تقديم إجابات جاهزة

النتيجة: تسميم الوعي الجمعي وتصفية الحسابات

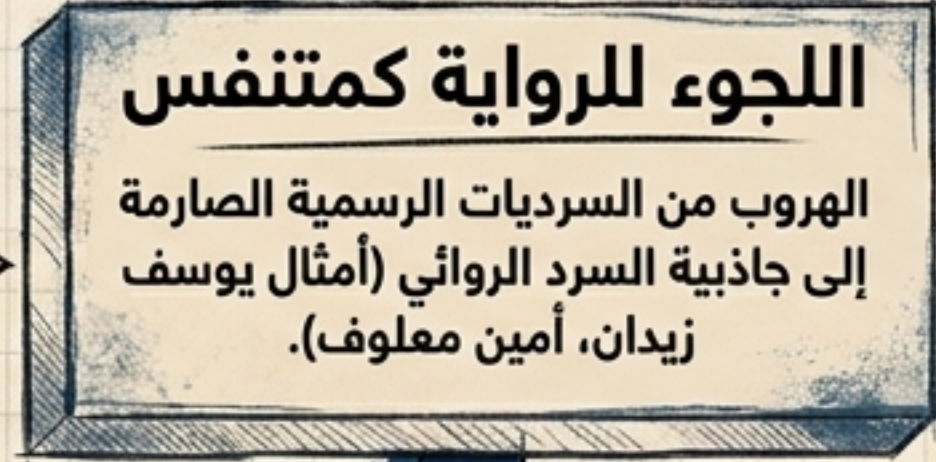
الرواية التي تدعي أنها "مجرد خيال" قد تكون أشد فتكاً من الكتاب المزور، لأنها تتسرب للوعي عبر العاطفة.



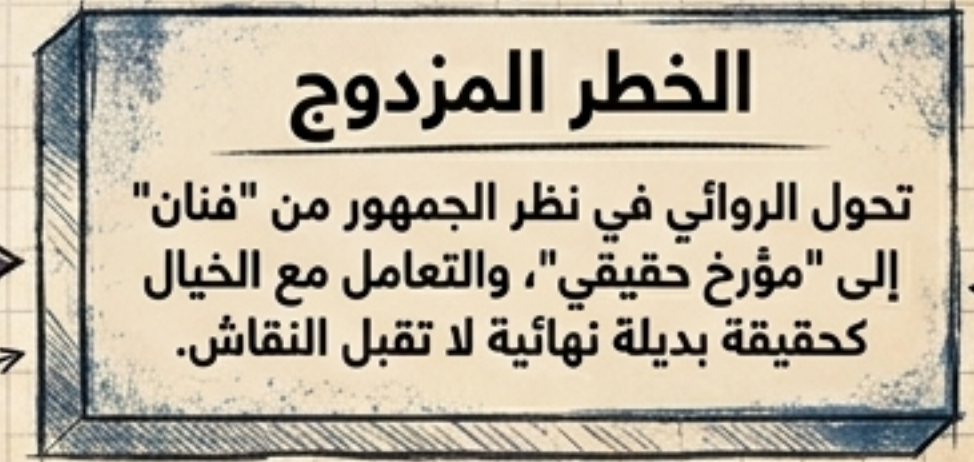


أزمة ثقة

جاذبية الحكاية



أزمة ثقة



تقديس الخيال

مؤرخ مزيف

هذا التقديس للتخييل يفتح الباب أمام "الحروب السردية" وصناعة التزييف.



## المتلقي السلبي



يسلم مفاتيح ذاكرته للروائي بالكامل.  
يقع ضحية التشكيك الممنهج والتوجيه  
الأيديولوجي.

## القارئ المرتحل / الناقد



يمتلك "الحصانة النقدية".  
يدرك أن الرواية "حوار" مع الماضي وليست "نسخة" عنه.  
يرتحل بين النص الأدبي (للمتعة) والوثيقة (للحقيقة).

نجاح الرواية ليس في إقناعك بصحة أحداثها، بل  
بل في دفعك للذهاب إلى المكتبة للبحث في المصادر.



## المؤرخ الأكاديمي

التركيز: القادة والمؤسسات

المخرجات: هياكل وأرقام وتواريخ

الولاء: الوثيقة والحدث الظاهر

الدور: يسجل 'الفعل' ويمنع التحريف

## الروائي

التركيز: الإنسان العادي والمهمشين

المخرجات: اللحم، الدم، والروح

الولاء: التجربة الإنسانية الباطنة

الدور: يسجل 'رد الفعل' ويمنع النسيان



# الخيانة النبيلة



التصرف الروائي هو خيانة صغيرة للمظهر والأرقام، لكي يحقق أمانة  
كبرى للجوهر وروح الإنسان.

الرواية التي لا تتصرف في التاريخ هي وثيقة تفتقر للشجاعة الإبداعية. التاريخ يمنحنا  
يمنحنا الجثة، والروائي وحده من يمنحها سر الانبعاث.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد  
UNIVERSITÉ DE TLEMCEEN



كلية الآداب و الفنون  
قسم اللغة والأدب العربي

**مقياس : قضايا الرواية التاريخية أعمال موجهة**

ليسانس السداسي السادس

تخصص: دراسات نقدية

إعداد : أ.د محمد ملياني

العام الجامعي 2026/2025

**هل يجوز للروائي التصرف في الأحداث؟**

تعد مسألة "التصرف في الأحداث" من صميم العملية الإبداعية، فيجوز بل ويجب للروائي التصرف في الأحداث، وذلك لعدة أسباب فنية ومنطقية تختلف باختلاف نوع الرواية:

**1. الفرق بين الواقع والواقعية**

الرواية ليست "تسجيلاً" حرفياً للواقع، بل هي "إعادة بناء" له. حتى في الروايات التي تعتمد على أحداث حقيقية، يقوم الروائي بعملية اختيار وانتقاء، حيث يستبقي الأحداث التي تخدم الدراما ويحذف التفاصيل المملة أو غير المؤثرة.

**2. التصرف في الرواية التاريخية**

في هذا النوع تحديداً، يبرز السؤال: هل يلتزم الكاتب بالتاريخ أم بالخيال؟

- الحرية الفنية: يحق للروائي ملء "الفجوات" التي تركها التاريخ. المؤرخ يهتم بما حدث، أما الروائي فيهتم بما "يمكن أن يكون قد حدث" في خبايا تلك الوقائع.
- الضرورة الدرامية: قد يغير الكاتب في الترتيب الزمني البسيط أو يدمج شخصيتين في شخصية واحدة لتركيز الصراع، وهذا مقبول فنياً ما دام لا يشوه الحقائق الكبرى التي بنيت عليها الرواية.

**3. خلق "المنطق الروائي"**

الأحداث في الواقع قد تقع صدفة وبدون أسباب واضحة، لكن في الرواية يجب أن يكون لكل حدث مبرر درامي. التصرف هنا يهدف إلى جعل الحكاية أكثر تماسكاً وإقناعاً للقارئ، وهو ما يُعرف بـ "الصدق الفني" الذي هو أهم من "الصدق التاريخي" أو "الواقعي".



#### 4. رؤية الروائي (المنظور السوسولوجي)

الرواية غالباً ما تحمل وجهة نظر كاتبها تجاه المجتمع أو الإنسان. لذا، فإن التصرف في مسارات الأحداث (مثل جعل البطل "إشكالياً" يبحث عن قيم مفقودة في عالم متدهور) هو الأداة التي يعبر بها الكاتب عن فلسفته ونقده للواقع.

المصادقية في الرواية لا تعني مطابقة الواقع، بل تعني قدرة الكاتب على إقناعنا بعالمه الخاص الذي بناه بتصرفه الحر في الوقائع والشخصيات. ثمة العديد من المقولات النقدية التي أسست لمفهوم "الحرية الروائية" وأوضحت العلاقة الجدلية بين الواقع والخيال، ومن أبرزها:

1. أرسطو: "المحتمل" أهم من "الواقع"

في كتابه فن الشعر، وضع أرسطو قاعدة ذهبية تبرر تصرف الكاتب في الأحداث: "ليست مهمة الشاعر (أو الروائي) رواية ما وقع فعلاً، بل رواية ما يمكن أن يقع، أي ما هو ممكن بحسب الاحتمال أو الضرورة."

2. جورج لوكاش: التاريخ كخلفية للصراع

يرى لوكاش في كتابه الرواية التاريخية أن الكاتب لا ينقل التاريخ كما يفعل الأثريون، بل يعيد إنتاجه:

"الرواية التاريخية لا تهدف إلى استعادة الوقائع التاريخية في ذاتها، بل إلى كشف القوى الاجتماعية التي شكلت الإنسان في تلك المرحلة."

3. ماريو فارغاس يوسا: "حقيقة الأكاذيب"

يوسا لديه رؤية عميقة حول ضرورة "الكذب" الفني للوصول إلى الحقيقة الإنسانية: "الروايات لا تكتب لكي تحكي الحياة، بل لكي تعوضنا عن الحياة. الكاتب يكذب ليقول الحقيقة، فالحقيقة الروائية تُبنى دائماً على أنقاض الواقع الذي تم تحريفه."

4. ميخائيل باختين: المنطق الداخلي للشخصية

يرى باختين أن التصرف في الأحداث يجب أن يخدم "صوت" الشخصية ومنطقها الخاص، وليس مجرد رغبة الكاتب:

"الشخصية في الرواية ليست موضوعاً جامداً، بل هي فاعل له منطق يتجاوز أحياناً إرادة المؤلف نفسه."

5. بلزاك: الروائي كمؤرخ للمجتمع

يقول بلزاك الذي سعى لتشريح المجتمع الفرنسي:

"المجتمع الفرنسي هو الذي سيكون المؤرخ، وما عليّ إلا أن أكون السكرتير الذي يدون ملاحظاته."

ومع ذلك، فإن "تدوين الملاحظات" عند بلزاك كان يمر عبر مصفاة الخيال الخصب لإعادة تركيب الطبقات الاجتماعية.

تؤكد هذه الأقوال أن التصرف في الحدث ليس "تزيفاً" بالمعنى الأخلاقي، بل هو "صناعة" تهدف لرفع الواقع من مستواه العابر إلى مستوى الفن الخالد.

**أسئلة موجهة للطلبة:**

هل تميل في قراءتك إلى الرواية التي تلتزم بالواقعية الصارمة أم تلك التي تذهب بعيداً في التخيل؟



هذا الطرح الذي قدمته يلامس جوهر الإشكالية المعاصرة في الدراسات النقدية وما بعد الكولونيالية، حيث لم يعد التعامل مع التاريخ باعتباره "كتلة صلبة" من اليقينيّات، بل كـ "خطاب" (Discourse) قابل للتفكيك وإعادة القراءة. يمكن مقارنة هذا التساؤل عبر المحاور التالية:

1. تهافت الحدود بين "رواية التاريخ" و"التاريخ المروي"  
التمييز "المدرسي" الذي ذكرته بين المؤرخ (الموضوعي) والروائي (الذاتي) تهاوى أمام أطروحات نقدية حديثة، مثل أطروحة هيدن وايت (Hayden White) في كتابه "مراء التاريخ"، حيث يرى أن التاريخ يُكتب دائماً عبر "قوالب سردية". المؤرخ، لكي يمنح الأحداث المبعثرة معنى، يضطر لاستخدام أدوات الروائي (الحبكة، الاستعارة، التنبير). لذا، فالمؤرخ ليس محايداً بالضرورة، بل هو "روائي مقيد بالوثيقة".
2. الرواية التاريخية كـ "تاريخ بديل" (Counter-History)  
في ظل هيمنة "تاريخ الغالب"، تصبح الرواية التاريخية أداة للمقاومة الثقافية. إنها تمنح صوتاً لمن سكت عنهم التاريخ الرسمي (المهمشون، المغلوبون، النساء). إعادة الاعتبار: الروائي هنا لا "يزيف" التاريخ، بل "يستنطقه" ليبحث عن الحقيقة المسكوت عنها خلف الوثيقة الرسمية التي كتبها المنتصر.
3. خطورة التوظيف الأيديولوجي (المغالطة والتشكيك)  
أشرت إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي إمكانية استغلال "المتخيل" من قبل السلطة المهيمنة. هنا تكمن "المفارقة":  
الرواية التي تدعي أنها "مجرد خيال" يمكن أن تكون أكثر فتكاً من الكتاب التاريخي المزور، لأنها تتسرب إلى الوعي الجمعي عبر العاطفة والحكاية.  
حين يعيد "الغالب" كتابة تاريخ "المغلوب" روائياً، فإنه قد يمارس محواً ثانياً للهوية، من خلال بث الشك في المسلمات التاريخية لتلك الجماعة تحت غطاء "حرية الإبداع".
4. من "القداسة" إلى "المساءلة"  
إن نزع القداسة عن الحدث التاريخي في الرواية لا يعني استباحته، بل يعني نقله من فضاء "التلقي السلبي" إلى فضاء "المساءلة المعرفية". الروائي الحق هو الذي يستخدم "التصرف" ليس لتشويع الحقيقة، بل لكشف آليات تزيفها.  
استغلال الرواية للتشكيك في مصداقية الثقافات المناوئة يفتح الباب أمام مفهوم "الحروب السردية". فالتاريخ لم يعد يُستعاد بالوثيقة فقط، بل بمن يمتلك السردية الأقوى والأكثر قدرة على الإقناع الجمالي.  
بناءً على هذا التحليل، هل تعتقد أن "الميثاق الجمالي" بين الروائي والقارئ يكفي لحماية الحقيقة التاريخية، أم أننا بحاجة إلى "ناقد تاريخي" يرافق القارئ في رحلته؟  
أرى أن الإشكالية لا تكمن في "الحق" في التصرف، بل في "أخلاقيات التخيل" وجدوى هذا التصرف. إذا اعتبرنا التاريخ "مادة خام" تشبه الرخام في يد النحات، فإن الروائي لا يشوه الرخام بل يمنحه شكلاً وروحاً ليفصح عما عجز الرخام الصامت عن قوله.  
يمكن بلورة رأيي في النقاط التالية:
1. التاريخ "أخرس" والرواية "اللسان"  
الروائي هنا لا يغير الحدث، بل يملأ "الفراغات الوجدانية" التي تسقط من مسامات التاريخ الرسمي. هذا النوع من التصرف ليس تحريفاً، بل هو "استكمال لكيان الحقيقة".



## 2. الرواية كمختبر للشك المنهجي

التاريخ يكتبه المنتصرون، وهنا تكمن "المهمة النبيلة" للتصرف الروائي. الروائي الحق هو الذي يمارس "الارتقاء بالخيال" ليصبح أداة نقدية؛ فيعيد خلط الأوراق ليس لغرض التضليل، بل لإثبات أن ما نعتبره "حقيقة مطلقة" قد يكون مجرد "وجهة نظر مفروضة".

## 3. فخ "التزييف الناعم" (التحذير)

حين تتحول الرواية التاريخية إلى أداة لخدمة هيمنة سياسية أو ثقافية، فإنها تفقد صفتها كـ "فن" وتتحول إلى "بروباغندا مغلفة". التصرف هنا يصبح خطيراً لأنه يستخدم جماليات السرد لتمرير سموم أيديولوجية، مما يجعل القارئ يتشرب "زيفاً" ظناً منه أنه يستهلك "إبداعاً".

## 4. المعيار هو "الاتساق الداخلي"

إذا كان الروائي يغير حدثاً تاريخياً لجعل الشخصية أكثر عمقاً أو الصراع أكثر وضوحاً في سياق فهم الروح البشرية، فهو مبدع. أما إذا كان يغيره فقط ليحابي طرفاً أو ليشوه آخر دون مسوغ درامي، فهو هنا يمارس "سطواً" على الذاكرة لا "استلهاماً" لها. "الرواية هي تاريخ ما أغفله المؤرخون". لذا، للروائي الحق الكامل في التصرف، بشرط أن يكون هدفه هو البحث عن "حقيقة إنسانية" أشمل، لا مجرد استبدال "رواية رسمية" بـ "رواية منحازة" أخرى. فالرواية العظيمة هي التي تترك القارئ يتساءل ويشك، لا تلك التي تعطيه إجابات جاهزة ومزورة.

هل ترى أن القارئ العربي اليوم، في ظل هذا الزخم من الروايات التاريخية (مثل أعمال زيدان، المعلم، أو خضرا)، يمتلك الحصانة النقدية للتفريق بين "المتخيل الجمالي" و"التزييف الأيديولوجي"؟

يرى الكثيرون أن القارئ العربي المعاصر يعيش حالة من "التعطش للتاريخ" نتيجة اهتزاز اليقين في الحاضر، وهذا ما جعل الرواية التاريخية تتصدر المشهد. لكن، في رأيي، هذه العلاقة بين القارئ والنص التاريخي المتخيل محفوفة بالمخاطر والفرص في آن واحد، ويمكن تلخيص الرؤية في النقاط التالية:

## 1. جاذبية "المسكوت عنه" وفخ التصديق

القارئ العربي، الذي اعتاد على سرديات رسمية صارمة في المناهج التعليمية، يجد في الرواية التاريخية "متنفساً". الخطورة تكمن في أن القارئ قد يتعامل مع "متخيل" الروائي (مثل يوسف زيدان أو أمين معلوف) باعتباره "حقيقة بديلة" نهائية، لا مجرد رؤية فنية. هنا يتحول الروائي في نظر الجمهور من "فنان" إلى "مؤرخ حقيقي"، وهو حمل ثقيل قد لا يقصده الروائي نفسه.

## 2. الوعي بـ "الحرب السردية"

أشرت سابقاً إلى فكرة "الغالب والمغلوب"، وأعتقد أن القارئ العربي أصبح اليوم أكثر حذراً تجاه السرديات التي تأتي من "الآخر" أو من السلطة. ومع ذلك، قد يقع في فخ "الانحياز التأكيدي"؛ أي أنه يصدق الرواية التي تتماشى مع أيديولوجيته الخاصة حتى لو تضمنت تصرفاً تاريخياً فجاً، ويرفض الرواية التي تصدم قناعاته حتى لو كانت أكثر قرباً للروح التاريخية.

## 3. الرواية كـ "مختبر نقدي" لا كـ "كتاب مقدس"



النجاح الحقيقي للرواية التاريخية ليس في إقناع القارئ بصحة أحداثها، بل في دفع القارئ للذهاب إلى المكتبة والبحث في المصادر الأصلية. الوعي النقدي يبدأ حين يدرك القارئ أن الرواية هي "مسألة للتاريخ" وليست "تنبيئاً له".

#### 4. مستويات الحصانة النقدية

لا يمكن الحديث عن "قارئ واحد"، بل نحن أمام مستويات: القارئ الأكاديمي/المتقن: الذي يمتلك "مصفة" تميز بين الضرورة الدرامية والتدليس الأيديولوجي.

القارئ العام: الذي قد يقع ضحية للتشكيك الممنهج الذي تمارسه بعض الروايات "الموجهة" التي تهدف لخلخلة الهوية أو تمييع الحقائق تحت شعار "قراءة مغايرة". الخلاصة:

أرى أن الرواية التاريخية اليوم تقوم بدور "المعرض الثقافي". ورغم مخاوف التزييف، إلا أن وجود "تعددية سردية" في الرواية أفضل من الركون إلى "سردية واحدة" ميتة. الحصانة لا تأتي بالمنع أو بتقديس التاريخ، بل بتدريب العقل على أن كل مكتوب هو "وجهة نظر"، سواء كان في كتاب تاريخ أو في رواية.

في ظنك، هل تراجع دور "المؤرخ الأكاديمي" أمام سطوة "الروائي" في تشكيل الوعي التاريخي للجيل الجديد؟

نعيش اليوم زمن "انتقال السلطة السردية"؛ حيث سحب الروائي البساط من تحت أقدام المؤرخ الأكاديمي في تشكيل الوعي الجمعي. المؤرخ يقدم "هيكلاً عظيماً" للأحداث (أرقام، تواريخ، وثائق)، بينما الروائي يكسو هذا الهيكل لحماً ودماءً، وهذا هو سر سطوته. رأيي يتلخص في ثلاث نقاط جوهرية:

#### 1. انتصار "الحكاية" على "الوثيقة"

الإنسان كائن قصصي بطبعه. نحن لا نتذكر المعاهدات الجافة، لكننا نتذكر معاناة بطل في رواية عاش تلك الحقبة. هذه السطوة تجعل الروائي "مؤرخاً غير رسمي" في نظر الجماهير. الخطورة هنا أن القارئ قد يتبنى "مزاج" الروائي وأهواءه الشخصية باعتبارها حقائق تاريخية، لمجرد أنها قُدمت في قالب أدبي ممتع.

#### 2. الرواية كأداة "لترميم" الهوية

في منطقتنا العربية، حيث تعرض التاريخ للكثير من التعطيم أو التوجيه، أصبحت الرواية التاريخية وسيلة لـ "الترميم المعنوي". الروائي الذي "يتصرف" في الأحداث ليعيد الاعتبار لرمز وطني أو ليشرح سبب انكسار معين، يمارس دوراً علاجياً للمجتمع. لكن هذا الدور "العلاجي" قد يتحول إلى "تخديري" إذا غرق في المثالية أو في جلد الذات المبالغ فيه.

#### 3. مسؤولية "القارئ الناقد"

الحل ليس في مطالبة الروائي بالالتزام الصارم بالتاريخ (لأن هذا يقتل الفن)، ولا في مطالبة المؤرخ بأن يكون أديباً (لأن هذا يقتل العلم). الحل يكمن في "وعي المتلقي". يجب أن يدرك القارئ أن الرواية التاريخية هي "حوار" مع الماضي وليست "نسخة" عنه. التصرف في الأحداث ليس "خيانة" للتاريخ، بل هو "وفاء لروح الإنسان" الذي عاش هذا التاريخ. التاريخ يسجل "الفعل"، والرواية تسجل "الأثر". وبينما قد ينجح المؤرخ في منع التحريف، ينجح الروائي في منع النسيان.



كثرة هذه "المراجعات الروائية" للتاريخ قد تؤدي في النهاية إلى حالة من التيه التاريخي، حيث لا يعود القارئ يعرف أي الروايات يصدق؟ أصبحت الرواية هي "المختبر" الذي تُعاد فيه صياغة الهويات. الروائي اليوم لم يعد مجرد كاتب، بل أصبح "مهندس ذاكرة".

تحديداً، المسألة من ثلاث زوايا:

1. الروائي كـ "منقذ" للحدث من الجمود

التاريخ الأكاديمي، رغم دقته، غالباً ما يكون تاريخ "المؤسسات" و"القادة". أما الروائي حين يتصرف في الأحداث، فهو يمارس عملية "أنسنة التاريخ". إنه ينزل بالتاريخ من رفوف الكتب المتربة إلى نبض الشارع والحياة اليومية. هذا التصرف هو الذي يجعل التاريخ "محسوساً" وقابلاً للاستيعاب من قبل الأجيال الجديدة التي تنفر من السرديات الجافة.

2. خطورة "السلطة الجمالية"

هناك نوع من "الديكتاتورية الجمالية"؛ فبسبب براعة الروائي في اللغة والوصف وبناء العاطفة، يمتلك القدرة على جعل "الباطل التاريخي" يبدو "حقاً فنياً". هنا تكمن الإشكالية: القارئ يضعف أمام جمال النص، ويمرر من خلال هذا الضعف مغالطات قد تكون مقصودة لتغيير الوعي بالماضي. لذا، التصرف في الأحداث هو "سلاح ذو حدين": إما أن ينير الزوايا المظلمة، أو أن يطمس الحقائق الناصعة ببريق المجاز.

3. مابعد "الحقيقة" في الرواية

نحن في عصر "مابعد الحقيقة"، ولم تعد الرواية التاريخية مطالبة بتقديم "ما حدث"، بل بتقديم "لماذا حدث وكيف شعرنا تجاهه". الروائي الذي يغير في تفاصيل معركة أو حوار بين ملكين، لا يفعل ذلك بالضرورة للتزوير، بل ليبني "جسراً شعورياً" يربط القارئ المعاصر بجذوره.

الرواية التاريخية العظيمة هي التي تحترم "روح العصر" حتى وهي تتلاعب بـ "وقائعه". إنها تعطينا "الحقيقة الفنية" التي هي أحياناً أبقي وأصدق من الحقيقة التاريخية نفسها. هل تعتقد أننا بحاجة اليوم إلى "ميثاق شرف" للرواية التاريخية، أم أن الفن بطبعه متمرّد على كل المواثيق؟

الفن، بطبيعته، كائن متمرّد لا يطيق "مواثيق الشرف" أو القيود الوثائقية، لأن الرواية لو التزمت بالتوثيق الحرفي لتحولت إلى "تاريخ مشوّه" بدلاً من أن تكون "أدباً رفيعاً".

1. "الميثاق الجمالي" بديلاً عن "الميثاق الأخلاقي"

الميثاق الوحيد الذي يجب أن يلتزم به الروائي هو "الصدق الفني". إذا كان التصرف في الحدث التاريخي يخدم البناء الدرامي، ويعمق فهمنا للنفس البشرية، فهو تصرف مشروع. أما إذا كان الهدف هو "التزييف المتعمد" لخدمة أجندة سياسية ضيقة، فإن النص سيسقط فنياً قبل أن يسقط تاريخياً، لأن "البروباغندا" دائماً ما تقتل الجمال.

2. التاريخ كـ "قناع" للراهن

غالباً ما يهرب الروائي إلى التاريخ ليتحدث عن الحاضر. "التصرف" هنا هو الأداة التي يحول بها الماضي إلى "مرآة"؛ فإسقاط قضايا الاستبداد، أو الحرية، أو صراع الهويات على حقبة تاريخية قديمة ليس تحريفاً للماضي بقدر ما هو "استنطاق" له ليفهم القارئ واقعه. الروائي هنا لا يكتب تاريخ الأجداد، بل يكتب هواجس الأحفاد بلسان الأجداد.

3. "وعي القارئ" هو الحصن الأخير



لا يمكننا حراسة الخيال، لكن يمكننا تدريب العقل. أرى أن الحل ليس في وضع قيود على الروائي، بل في خلق "قارئ مرتحل"؛ ينتقل بين النص الأدبي ليستمتع بالخيال، وبين الوثيقة التاريخية ليتعرف على الوقائع. الرواية التاريخية الناجحة هي التي تترك في ذهن القارئ "ثقباً" لا يسده إلا البحث والقراءة المستقلة.

نحن مع "التصرف الخلاق" الذي يحرر التاريخ من جموده، ويمنحه أبعاداً فلسفية وإنسانية. فالرواية التي لا "تتصرف" في المادة الخام هي رواية تفتقر للشجاعة الإبداعية. التاريخ يمنحنا "الجثة"، والروائي هو من يمنحها "البعث" من جديد عبر الخيال. ألا تعتقد أن مطالبة الروائي بالدقة التاريخية هي في الحقيقة نوع من "الوصاية" التي قد تحرم الأدب من أعظم تجلياته؟

مطالبة الروائي بالدقة التاريخية الصارمة هي "مقصلة للإبداع"، فهي تحول الأديب من "خالق لعوالم" إلى "حارس لأرشيف". التاريخ والجمال ضرتان لا تلتقيان في بيت واحد إلا إذا كانت السيادة للجمال.

1. الرواية هي "تاريخ المهمشين" مقابل "تاريخ المنتصرين". المؤرخ يهتم بالملك والقائد والقرار السياسي، أما الروائي فيتصرف في الأحداث ليعيد الاعتبار لـ "الإنسان العادي" الذي دهسته سوابك الخيل في المعارك ولم يذكره أحد. هذا التصرف هو "عدالة فنية" تمنح التاريخ وجهاً إنسانياً يتجاوز جفاف الأرقام.

2. "الحقيقة الفنية" أقوى من "الحقيقة الواقعية"

في كثير من الأحيان، نصدق "نابليون" كما صوره تولستوي في "الحرب والسلام" أكثر مما نصدق نابليون في كتب التاريخ. لماذا؟ لأن الروائي يمنحنا الحقيقة "الجوهرية" للشخصية، بينما يمنحنا المؤرخ الحقيقة "الظاهرية". التصرف هنا هو الأداة التي تخترق جدار الزمن لتصل إلى روح الحقبة، لا إلى قشورها.

3. التاريخ كـ "تمرين على الحرية"

الرواية هي المساحة الوحيدة التي يمكننا فيها مساءلة الماضي دون خوف من "قداسة الوثيقة". إذا حاصرنا الروائي بالدقة، فنحن نغلق باب "المراجعة الذهنية". الروائي الذي يخلط الأوراق التاريخية يحفز القارئ على التفكير: "ماذا لو حدث العكس؟". هذا التساؤل هو جوهر الفكر النقدي الذي نحتاجه اليوم للخروج من أسر السرديات الجاهزة.

الرواية التاريخية ليست "درساً في التاريخ"، بل هي "تجربة في الوجود" تستخدم التاريخ كمنصة انطلاق. الروائي الذي لا يجرؤ على التصرف في الأحداث هو كاتب يفتقر لليقين في قوة خياله.

بعد هذا الحوار العميق، هل ترى أن "المخيلة الروائية" قادرة فعلاً على حماية الهوية الثقافية من التزييف، أم أنها قد تصبح هي نفسها أداة للتزييف دون أن ندري؟

إن المخيلة الروائية هي "سيف ذو حدين"؛ فهي تمتلك القدرة على حماية الهوية وتخليدها، لكنها في الوقت ذاته قد تكون أشرس أداة لتزييفها، والفيصل هنا هو "الوعي بجهة السرد".

1. المخيلة كدرع (حماية الهوية)

حين يكون التاريخ الرسمي لثقافة ما عرضة للمحو أو التشويه من قبل "قوى مهيمنة"، تصبح الرواية هي "المخبأ السري" للهوية. الروائي هنا يتصرف في الأحداث لا ليزورها، بل ليحفظ "جوهرها" في قالب حكائي عصي على النسيان. في هذه الحالة، الخيال لا يزييف الحقيقة، بل يحميها من التبخر.



## 2. المخيلة كفخ (صناعة التزييف)

حين تُستغل الرواية من قبل "الغالب" لإعادة صياغة تاريخ "المغلوب". هنا يصبح التصرف في الأحداث "هندسة عكسية للوعي". الروائي المتمكن جمالياً قد يمرر رؤية "مهينة" أو "مشككة" في ثوابت جماعة ما، ويجعلها تبدو كأنها "كشف فني" أو "قراءة شجاعة"، بينما هي في الجوهر استكمال لعملية الهيمنة بوسائل ناعمة.

## 3. "صدق الرؤية" لا "دقة الوقائع"

الروائي الذي يتصرف في التاريخ لينتصر للقيم الإنسانية المطلقة (الحرية، العدالة، الكرامة) نادراً ما يزيف الهوية. أما الروائي الذي يتصرف لخدمة "مركزية ثقافية" أو "غلبة سياسية"، فإنه يسقط في فخ التزييف حتى لو التزم ببعض التواريخ الصارمة.

## 4. حتمية "الصراع السردى"

حماية الهوية لا تكون بمنع الروائي من التصرف، بل بوجود "تعددية سردية". فمقابل كل رواية تحاول التزييف، يجب أن تنهض روايات أخرى تستخدم ذات السلاح (المخيلة) لتقديم الرؤية المغايرة.

المخيلة الروائية ليست بريئة أبداً؛ إنها ساحة معركة. والتصرف في الأحداث هو "التكتيك" المستخدم في هذه المعركة. لذا، لا يمكننا أن نثق في الرواية ثقة عمياء، بل يجب أن نقرأها بـ "عين الناقد وقيد الهاوي"؛ نستمتع بجمالها، لكننا لا نسلم لها مفاتيح ذاكرتنا التاريخية بالكامل.

إن "التصرف" في الرواية التاريخية هو "فعل أمانة للجوهر، وخيانة للمظهر". الروائي يرتكب "خيانة صغيرة" للتواريخ والأرقام لكي يحقق "أمانة كبرى" لروح الإنسان وتجربته الوجودية. التاريخ يمنحنا "الهيكل"، والروائي يمنحنا "الروح". وبدون هذا التصرف، يظل التاريخ جثة هامدة لا تلهم أحداً.